العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية

إذاعة الكفيل

سلسلة حلقات برامج إذاعة الكفيل

صوت المرأة المسلمة

زينة الحياة

إعداد

هدى الوتّار

كربلاء المقدسة
FM-95.3MHZ
النجف الأشرف
FM-103.9MHZ
ذي قار
FM-95.3MHZ
ميسان
FM-98.3MHZ
radio@alkafeel.net

الكتاب: زينة الحياة.
الإعداد: هدى الوتّار.
المونتاج الإذاعي: نبأ شاكر.
الناشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة/ شعبة إذاعة الكفيل.
التصميم: علاء سعيد الأسدي.
الإخراج الطباعي: شيماء سامي.
التدقيق اللغوي: عمار كريم السلامي.
المطبعة: مطبعة دار الكفيل.
الطبعة: الأُولى.
عدد النسخ: ٢٠٠٠
جمادى الآخرة ١٤٣٨- آذار ٢٠١٧م

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وسلامٌ على أصحابه البررة المنتجبين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

أما بعد: لا يخفى أنَّنا مازلنا بحاجة إلى تكريس الجهود ومضاعفتها نحو نشر المفاهيم الأخلاقية والتربوية وترسيخ المفاهيم الإيمانية التي تضمنتها رسالة الإسلام لبناء الفرد بناءً فعلياً حقيقياً؛ ليكون انطلاقة سليمة لبناء ذلك الكيان الإنساني الشامخ الذي ماهو إلا اللبنة الأُولى لبناء مجتمعٍ إسلامي راسخ البنيان، عتيد المراسي، لذا ومساهمةً في ذلك جاءت برامج إذاعة الكفيل صوت المرأة المسلمة كسبيل للوصول إلى ذلك، وقد أخذت هذه البرامج طريقها إلى أسماع الكثيرين عبر أثيرها وعبر شبكة الإنترنت العالمية صوتاً، ولأجل تعميم الفائدة ارتأت الإذاعة إيصال برامجها كتابياً إلى أيدي الذين لم يسعفهم الوقت لسماعها وذلك بطباعة بعض من برامجها وإصدارها كراريس.

الحلقة الأولى

يعتمد نجاح التربية الإسلامية اعتماداً أساسياً على نجاح الأساليب التربوية الإسلامية التي ينتهجها حملة الإسلام ودعاته، فهي بمثابة المرآة التي تعكس وجهة نظر العقيدة الإسلامية للمسلمين ولغير المسلمين أو هي بمثابة المصباح الذي يبعث النور لإضاءة السبل المظلمة والطرق المدلهمّة المليئة بالأشواك والأحجار والعثرات، ويعتمد نجاح الأساليب التربوية أيضاً على الالتزام والتقيّد بالمبادئ والقيم والمثل التي حدَّدها الإسلام العظيم، فكما أنَّ العقيدة الإسلامية نظيفة بطبيعة مبدئها من كلِّ خبث ودنس كذلك الأساليب التي ينتهجها الدُعاة المسلمون نظيفة طاهرة؛ لأنَّ الإسلام وحدة متكاملة مترابطة يكمّل بعضها الآخر، فالعقيدة أساس الأسلوب والهدف نتاج الأسلوب

والعقيدة والكلُّ سِنْخٌ[1] واحد أو من طبعٍ واحد أو من شجرة واحدة انطلاقاً من القاعدة التي تقول: «لا يُطاع الله من حيث يُعصى».

ومن الأساليب التربوية الواردة في في القرآن الكريم هي التوبة والمقصود بها الرجوع عن المعصية المتمثلة في ترك الواجب وفعل الحرام، وتُعَدُّ التوبة من أنجح الوسائل والأساليب التربوية التي جاءت في القرآن الكريم والتي تعود بالإنسان إلى حياة الخير والسعادة والصلاح وكما قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى**﴾[2]، وهي بمثابة مفتاح الخير والغفران والرحمة والباب الواسع الرحب للتفاؤل والرجاء وهي الواسطة لرضا الخالق على المخلوقين المذنبين الذين ألجأتهم الظروف القاسية إلى مهاوي الرذيلة والمعصية.

يقول الكاتب الهولندي فرانزستال: «إنَّ التوبة في الإسلام هي وسيلة تغيير الأفراد أنفسهم وهي سلاحٌ خُلُقي عظيم ففيها الندم والتغيير والتحوّل».

كما أنَّ للتوبة شروطاً أوردها الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بقوله: «**إنَّ التوبة يجمعها ستة أشياءٍ: على الماضي من الذنوب الندامة، وللفرائض العبادة، وَرَدُّ المظالم، واستحلال الخصوم، وأن يعزم على أن لا يعود، وأن يذيب نفسه في طاعة الله كما ربّاها في معصيته وأن يُذيقها مرارة الطاعة كما**

(١) السِنْخُ: الأصل.
(٢) طه: ٨٢.

أذاقها حلاوة المعصية»[1].

وكذلك ورد في القرآن الكريم أسلوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجاء عن الإمام الصادق عليه السلام فيما يرويه عبد العزيز القراطيسي في شرح وتحديد الخطوط الرئيسية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقول عليه السلام: «**يا عبد العزيز إنَّ الإيمان عشر درجات بمنزلة السُلَّم يصعدونه مرقاةً بعد مرقاةٍ**[2] **فلا يقولَنَّ صاحب الإثنين لصاحب الواحدة لستَ على شيءٍ حتى تنتهي إلى العاشر، فلا تسقط من هو دونك فيُسقِطُك من هو فوقك، وإذا رأيتَ من هو أسفل منك بدرجة فارفعه إليك برفق ولا تحملَنَّ عليه ما لا يطيق فتكسره، فإنَّ من كسر مؤمناً فعليه جبرَه**[3]**، يقول الله الحكيم في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾**[4]».

يقصد بالتغيير الاجتماعي والنفسي تحول سلوك الإنسان من حالة معينة إلى حالة أخرى أفضل منها وتغييرها من حالة متأخرة إلى حالة متقدمة حسنة، ويقصد به من وجهة نظر الإسلام تحول سلوك المسلم من حالة مخالفة للإسلام إلى حالة منطبقةٍ مع عقيدته وأفكاره ومفاهيمه.

إنَّ التصرفات والأعمال التي يسلكها المسلم إذا كانت مخالفة لعقيدته تعد

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٢/ ١٨٢.
(٢) المرقاة: الدرجة أو وسيلة الرُّقي.
(٣) الكافي: ٢/ ٤٣.
(٤) الرعد: ١١.

ظاهرة اجتماعية غريبة عن الإسلام يُطلَق عليها (ظاهرة ازدواج الشخصية)، والتربية الإسلامية تحاول بكلِّ ما أوتِيَت من قوةٍ بأساليبها التربوية تغيير كلَّ تصرفات وأعمال وسلوك المسلم المعاصر المتأثر بثقافة الغرب الكافرة إلى تصرفات إسلامية موافقة لتشريعات الإسلام ومبادئه.

إنَّ العملية التربوية التي يقوم بها المربي المسلم تتطلب بالدرجة الأُولى أن يكون المربّي قدوةً حسنةً للآخرين وتكون أفكاره ومفاهيمه مترجمة إلى تصرفات وأعمال إسلامية تُرضي الله ورسوله، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**كونوا دعاةً للناس بغيرِ ألسنتكم**»[1]، وتتطلب العملية التربوية كذلك أن يبدأ المربّي بنفسه أولاً ثم بأقرب الناس منه صلةً لإخوانه وأولاده وعائلته وأقاربه وأرحامه، وقد قيل: «ابدأ بنفسك أولاً ثم بأخيك».

إنَّ الإنتصار على النفس يعدُّ من الجهاد الأكبر كما نُقِل عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله لأصحابه حينما كانوا عائدين من إحدى غزواتهم الجهادية: «**مرحباً بقومٍ قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر**، قيل يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ قال صلى الله عليه وآله: **جهاد النفس**، ثم قال: **أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جَنبَيه**»[2]، ويقول صلى الله عليه وآله: «**من أصلح سريرته أصلح الله علانيته**»[3]، فالعوامل البيئية المحيطة بالإنسان على اختلاف أنواعها لها الأثر الكبير في توجيه سلوكه

(١) الكافي: ٢/ ٧٨.
(٢) بحار الأنوار: ٧٠/ ٦٤.
(٣) بحار الأنوار: ٦٨/ ٣٦٧.

وتصرفاته نحو الخير والهدى أو نحو آثارها على طبيعته وفطرته ومرتكزاته الوراثية التي ورثها من آبائه وأجداده.

يقول الله تبارك وتعالى حاكياً عن قوم مريم عليها السلام حينما جاءتهم بعيسى عليه السلام تحمله بين يديها: ﴿**فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا**﴾[1]، نلاحظ أنَّهم وجَّهوا لها هذا العتاب المر القاسي لعلمهم بأنَّ الإنسان النقي الطاهر لا يخرج منه إلا النقي الطاهر الذي يترشح منه الخير والعمل الصالح ولا يتأثر بما يحيط به من رجسٍ وآثام نظراً لما يحمله في طبيعته وذاته من مفاهيم وأفكار تُعَدُّ المناعة الواقية من الأمراض الاجتماعية والنفسية التي تلوّث الفطرة الإنسانية الصافية، ولهذا نرى الرسول الكريم صلى الله عليه وآله يحذر المؤمنين من الاقتران بخضراء الدِّمَن قال صلى الله عليه وآله: «**إيَّاكم وخضراء الدِّمَن**، قيل: يا رسول الله وما خضراء الدِّمَن؟ قال صلى الله عليه وآله: **المرأة الحسناء في منبتِ سوءٍ**»[2].

ويقول أحد الشعراء:

صاحب أخا ثقةٍ تحظى بصحبته
فالطبع مكتسب من كلِّ مصحوبِ
كالرِّيح آخذة مما تمرُّ به
نَتْناً من النَتْن أو طيباً من الطيبِ

وأخيراً نقول أنَّ خلق شخصية الإنسان المسلم وتربيته تعتمد اعتماداً

(١) مريم: ٢٧- ٢٨.
(٢) من لا يحضره الفقيه: ٣/ ٢٤٨.

أساسياً على العوامل الوراثية التي ورثها من سَلَفِه باعتبارها الركائز الرئيسية التي تقوم على البناء والتوجيه، وتعتمد في نفس الوقت على العوامل البيئية المحيطة به كعوامل مكتسبة تساعد على تكميل عملية البناء والتوجيه التربوي.

الحلقة الثانية

قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا**﴾[1]، والمقصود بهذه الآية الثواب والعقاب والمكافأة والمجازاة والإعطاء والحرمان، أي أنَّ الإنسان يحصل على ثمرة أعماله التي كُلِّفَ بها من قِبَل الشارع المقدَّس في الدُّنيا، أما بجلب منفعة أو بدفع مفسدة وفي الآخرة أما بدخول الجنة أو النار، يوم يقف الخلق ويُحشرون أمام بارئهم ويُحاسَبون على كلِّ صغيرة وكبيرة.

يقول الإمام علي عليه السلام: «**إنَّ الله سبحانه وضع الثواب على طاعته، والعقاب على معصيته، ذيادةً لعباده عن نقمته، وحياشةً لهم إلى جنَّته**»[2] وذيادةً: أي مَنْعاً،

(١) سبأ: ٢٨.

(٢) نهج البلاغة: ٣٦٨.

وحياشةً: سَوقاً، ويقول عليه السلام: «**مَن حذَّرك كمَن بشَّرك**»[1]، فالإنسان صاحب الفطرة السليمة التي لم تلوِّثها الآثام والذنوب يجتنب المآثم؛ لأنَّ فطرته النظيفة تستنكرها وتشجبها بل أنَّ بعض المؤمنين المتَّقين العارفين لا يفكرون بارتكابها فضلاً عن عملها، وهذه الظاهرة تتجلى في شخصيات الأنبياء والأئمة المعصومين عليهم السلام والأولياء والمؤمنين المخلصين.

كما أنَّ مفهوم الترغيب والترهيب من أهم الوسائل والأساليب التربوية التي توجِّه الإنسان نحو الخير والعمل الصالح وهما مفهومان متداخلان، ففي مجال الغريزة الدينية يقول الله جلَّ وعلا على لسان لقمان عن الشرك بأنَّه ظلمٌ عظيم: ﴿**وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾[2].

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**ما أخلصَ عبدٌ لله أربعين صباحاً إلّا وجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه**»[3]، وقد جاء في محكم كتابه الكريم قوله عزَّ وجلَّ: ﴿**فَوَيلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۞ الَّذِينَ هُم عَن صَلَاتِهِم سَاهُونَ**﴾[4]، وعن الصيام يقول صلى الله عليه وآله: «**من صام يوماً تطوعاً ابتغاء ثواب الله وَجَبَت له الجنة**»[5]، وعن ثواب الحجِّ يقول الإمام علي عليه السلام: «**وحجُّ البيت والعمرة ينفيان الفقر ويُكفِّران**

(١) نهج البلاغة: ٤/ ٩٦.
(٢) لقمان: ١٣.
(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/ ٦٩.
(٤) الماعون: ٤- ٥.
(٥) الأمالي: ١/ ٤٤٣، وسائل الشيعة ٧/ ٢٩٣.

الذنب ويوجبان الجنة»[1]، وفي مجال غريزة التملك يقول ﷺ: «**ليس منّا من غشَّ مسلماً أو ضرَّه أو ماكَرَهُ**»[2].

أما في مجال الاحتكار يقول الإمام علي عليه السلام: «**الإحتكار شيمة الفُجّار**»[3]، وعن التطفيف يقول تعالى: ﴿**وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ۞ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۞ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ**﴾[4]، ويقول تعالى عن السرقة: ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[5]، وفي مجال الغريزة العدوانية يقول ﷺ في محاربته العصبية والعدوانية: «**ليس منا من دعا إلى عصبيةٍ وليس منا من قاتل على عصبيةٍ وليس منا من مات على عصبيةٍ**»[6].

لذا كان المجتمع الإسلامي الأول يتكون من سلمان المحمدي وسهيل الرومي وبلال الحبشي وأبي ذرٍّ الغفاري وغيرهم رضي الله عنهم، وقد وضع الإسلام قواعد وأُسساً تربوية تعد بمثابة وسائل لتربية هذا الإنسان وصقل مواهبه، منها مفهوم اليسر والسهولة قال تعالى: ﴿**لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**﴾[7]،

(١) بحار الأنوار: ٧٧/ ٢٩٢.
(٢) تحف العقول: ٤٢.
(٣) غرر الحكم: ح٦٠٧.
(٤) المطففين: ١ – ٣.
(٥) المائدة: ٣٨.
(٦) بحار الأنوار: ٣١/ ٤٠.
(٧) البقرة: ٢٨٦.

وأيضاً قوله تعالى: ﴿**يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**﴾[1]، ومنها مفهوم التريث في إقامة الحدود كما روي عن أئمتنا عليهم السلام: «**ادرؤوا الحدود بالشُّبُهات**» ومنها المفاهيم الوقائية عن ارتكاب الآثام والذنوب فالوقاية خيرٌ من العلاج، ومنها حرية المعتقد والدِّين يقول سبحانه وتعالى: ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾[2].

(١) البقرة: ١٨٥.

(٢) البقرة: ٢٥٦.

الحلقة الثالثة

إنَّ حياة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في عهد الإسلام كانت مضرب الأمثال في ذلك المجتمع الذي تخلى عن القيم والمثل الإنسانية، وكفاه فخراً أن يكون الصادق الأمين الذي يفوح عطراً وروحاً في ذلك المجتمع المليء بالأوحال والأقذار والأشواك ليعيد له الحياة والاستقرار والهناء، وكفاه فخراً أن يختاره الله تعالى للنبوة ويكون خاتم النبيين والمرسلين قال تعالى: ﴿**وإنَّك لَعَلى خُلُقٍ عَظِيْمٍ**﴾[1] فكان هذا مدحاً للرسول صلى الله عليه وآله من الله تعالى، وفي هذا الحديث إشارة إلى أنَّ حياته صلى الله عليه وآله مليئة بالأساليب التربوية التي تدعو إلى دين الله القويم والتي

(١) القلم: ٤.

تترشح من أخلاقه التي حبَّبت الناس بالإسلام سواء في زمن الجاهلية وفي زمن الإسلام، ومن الشواهد التأريخية على عظيم خلقه صلى الله عليه وآله أسلوبه الحكيم الذي اتَّبعه في حسن حلِّ النزاع بين قبائل قريش في عهد الجاهلية في رفع الحجر الأسود إلى مكانه عندما بنوا الكعبة من جديد وعندما اختاروه حكماً بينهم أمر بثوب ووضع الحجر فيه واختار من كلِّ قبيلة رجلاً فرفعوه إلى مكانه ثم أخذه بيده الشريفة ووضعه في محلِّه المخصص.

وعن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال: «**دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمة عليها السلام جالسةٌ عند القدر وأنا أُنقِّي العدس، قال: يا أبا الحسن، قلت: لبيت يا رسول الله، قال صلى الله عليه وآله: اسمع، وما أقول إلّا ما أمرني ربّي، ما مِن رجلٍ يعين امرأته في بيتها إلّا كان له بكلِّ شعرةٍ على بَدَنِهِ عبادة سنة صيام نهارها وقيام ليلها، وأعطاه الله من الثواب مثل ما أعطاه الصابرين داود النبي ويعقوب وعيسى عليهم السلام، يا علي مَن لم يأنف من خدمة العيال دخل الجنة بغير حساب... يا علي خدمة العيال كفارة للكبائر ويطفئ غضب الرَّب ومهور حور العين ويزيد في الحسنات والدرجات، يا علي لا يخدم العيال إلّا صدّيق أو شهيد أو رجلٌ يريد الله به خير الدُّنيا والآخرة**»[1]، يتضح من خلال هذين الحديثين الشريفين أمران:

الأول: أنَّ الله سبحانه وتعالى يريد لنا أن نكون بمستوى المسؤولية وأن

(١) بحار الأنوار ١٠١/ ١٣٢.

نتخلى عن العصبية والصفات الأخرى التي ورثناها من العادات الجاهلية المقيتة التي تجعل المرأة خادمة في البيت لا رأي لها ولا كلمة فهي كما يقول ﷺ: «**ريحانةٌ لا قهرمانةٌ**»[1].

والثاني: إنَّ عملها في البيت ليس فرضاً واجباً وإنَّما هو تبرُّعٌ منها لسعادتها وسعادة زوجها وأولادها، ولا يعلم أحدكم ما لها من الأجر والثواب إلّا الله تعالى حيث يعدُّه جهاداً لها يقول ﷺ: «**جهاد المرأة حُسن التبَعُّل**»[2].

(١) نهج البلاغة ٣١.

(٢) بحار الأنوار: ١٨/ ١٠٧.

الحلقة الرابعة

لقد اتَّبع الأئمة المعصومون عليهم السلام عدة أساليب تربوية ووسائل تعليميةٍ لتبليغ الدعوة الإسلامية وإيصالها إلى المسلمين المحرومين من نبع الإسلام الصافي وجوهره الحقيقي بعد أن ابتُلوا بالحكّام الظَلَمة الذين شوَّهوا معالم الإسلام.

إنَّ حياة الأئمة المعصومين عليهم السلام تمثَّلت بالجهاد المادي والمعنوي سواء في عهد الأمويين أم في عهد العباسيين وتميَّزت بعدّة أدوار مختلفة كلُّ دورٍ له أسلوبه التربوي الخاص به حسب الظروف والمناسبات، لغرض إرجاع

المجتمع الإسلامي إلى حالته الأولى التي أوجدها رسول الله صلى الله عليه وآله كالحالات الجهادية والثورية في عهد الإمام علي عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام وحالات الصلح والمفاوضات في عهد الإمام الحسن عليه السلام وأُسلوب الدعاء والتوسل إلى الله تعالى في عهد الإمام زين العابدين عليه السلام والحركة العلمية في عهد الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام وقبول ولاية العهد والاشتراك في الحكم في عهد الإمام علي ابن موسى الرِّضا عليه السلام، وهكذا بقية الأئمة المعصومين عليهم السلام حتى عهد الإمام الحجة المنتظر المهدي بن الحسن عجل الله فرجه.

إنَّ الأساليب والوسائل التربوية التي تميَّز بها الأئمة المعصومون عليهم السلام على مدى حياتهم السياسية والجهادية لم تكن بدعاً من الأمر وإنَّما هي امتداد لأساليب القرآن الكريم وأساليب رسول الله صلى الله عليه وآله.

يقول الإمام علي عليه السلام: «**أوَّلنا محمَّدٌ وآخرُنا محمَّدٌ وأوسطنا محمَّدٌ وكلُّنا محمَّدٌ**»[1] - باعتبار العصمة لا النبوَّة- والذي صرَّح عنه صلى الله عليه وآله القرآن الكريم بأنَّه: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾[2].

إذن، يمكننا القول أنَّ أساليب القرآن الكريم وأساليب رسول الله صلى الله عليه وآله وأساليب الأئمة عليهم السلام وحدة متكاملة يكمِّل بعضها الآخر مصدرُها الوحي الإلهي ومنبعُها التشريع السماوي الذي وصفه الله عزَّ وجلّ بقوله: ﴿**لَا يَأْتِيهِ**

(١) بحار الأنوار: ٢٦/ ٦.

(٢) النجم: ٣-٤.

﴿الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[1].

ومن الأساليب التربوية التي سنذكرها هو أُسلوب الإمام علي عليه السلام حيث يُعَدُّ الإمام علي عليه السلام المربي الثاني بعد معلِّمه رسول الله صلى الله عليه وآله والعارف الحقيقي في عالم التوحيد والإيمان والأديان والإسلام والمفاهيم والأحكام فيما يخصُّ الدُّنيا والآخرة وما قبلها وما بعدها وكل ما يحيط بالإنسان والكون والمجتمع والحياة.

لقد مارس عليه السلام دوره التربوي في هذه الحياة ووضع اللبنات الأساسية لها في كلِّ مجالاتها وشُعَبِها وميادينها الفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فانطلق عليه السلام مشمِّراً عن ساعديه وبكلِّ ما يملك من قوة مادية ومعنوية يدافع عن الإسلام والمسلمين في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وما بعده مصححاً أوضاعهم ومحافظاً عليهم من مؤامرات الأعداء والمنافقين، فحارب الناكثين والقاسطين والمارقين وكشف ألاعِيبَهم ونواياهم الخبيثة التي حرَّفت المجتمع الإسلامي عن أهدافه وغاياته التربوية بالسيف مرةً وبالكلمة مرةً أخرى محذِّراً المسلمين منهم، يقول عليه السلام في أساليبه التربوية: «**لا تُقسِروا أولادَكم على آدابكم فإنَّهم مخلوقون لزمانٍ غير زمانِكُم**»[2].

ويعني عليه السلام بقوله الأساليب وليس الأحكام الشرعية والمفاهيم والأفكار

(١) فُصِّلت: ٤٢.

(٢) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتأريخ: ١١/ ١٧٧.

الإسلامية؛ وذلك لأنَّ الأساليب قابلة للتغيير والتبديل والابتكار من زمانٍ إلى زمانٍ، وإنَّ الأحكام والمفاهيم والأفكار غير القابلة للتغيير والتبديل لأنَّ حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرامٌ إلى يوم القيامة.

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «**رجع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى داره في وقت القيظ، فإذا إمرأة قائمة تقول: إنَّ زوجي ظَلَمَني وأخافني وتَعَدَّى عليَّ وحَلَفَ ليضربني، فقال عليه السلام: يا أَمَةَ الله اصبري حتى يبرد النهار ثم أذهب معكِ إن شاء الله، فقالت: يشتد غضبه عليَّ، فطأطأ أمير المؤمنين عليه السلام رأسه ثم رفعه وهو يقول: لا والله أو يؤخذ للمظلوم حقَّه غير متعتعٍ، أين منزلكِ؟ فمضى عليه السلام إلى بابه فوقف وقال: السلام عليكم، فخرج الشاب وهو لا يعرف الإمام عليه السلام فقال الإمام عليه السلام: يا عبد الله اتَّقِ الله، فإنَّك قد أَخَفتَها وأخرَجتها، فقال الفتى: وما أنت وذاك؟ والله لأحرقنَّها لكلامك، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: آمرُك بالمعروف وأَنهاك عن المنكر تستقبلني بالمنكر وتنكر المعروف؟ فأقبل الناس من الطرق يقولون: سلامٌ عليكم أمير المؤمنين، فسقط الرجل فقال: يا أمير المؤمنين أقلني في عثرتي، فوالله لأكونَنَّ لها أرضاً تطؤني، فأغمد علي عليه السلام سيفه الذي كان قد أخرجه من الغمد تخويفاً له وقال عليه السلام: يا أَمَةَ الله ادخلي ولاتُلجِئي زوجَكِ إلى مثل هذا أو شبهه**»[1].

نعم، هكذا كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وهو رئيس أكبر دولة في العالم آنذاك تمتد من ليبيا إلى داغستان في الاتحاد السوفيتي، يمشي مع امراة للإصلاح

(١) بحار الأنوار: ٤١/ ٥٧.

بينها وبين زوجها ومع أنَّ الشاب تعدَّى على الإمام عليه السلام فإنَّه تَرَكه وشأنه ولم يعاقبه، وفي مجتمعنا اليوم نحن بحاجة الى هذه الجوانب التي عالجها الإمام علي عليه السلام في حكومته الرائدة حتى أصبح نموذج الحاكم العادل في الدولة الإسلامية مع اختلاف الديانات التي كانت في حكومته عليه السلام، فالجميع يعيش في سلام وأمان.

الحلقة الخامسة

تميَّزت حياة الإمام الحسن عليه السلام ولاسيما السياسية منها عن غيره من الأئمة المعصومين عليهم السلام بأساليب الصلح والمفاوضات المتَّسمة بالسِّلم مع أعداء الدِّين والمنافقين الذين جلبوا الويلات للإسلام والمسلمين أمثال معاوية بن أبي سفيان(عليه لعائن الله) لحقن دماء المسلمين وتجنّبهم كوارث الحروب نتيجة للظروف السياسية والاجتماعية التي لفَّت تلك المرحلة من حكمه.

وانطلاقاً من مقولة جدِّه صلى الله عليه وآله النبوية: «**الحسن والحسين إمامان قاما أو**

قعدا»[1] نلاحظ أنَّه عليه السلام قام بواجبه الشرعي الذي تقتضيه مصلحة الإسلام والمسلمين باعتباره الإمام المعصوم الذي لا يُقدِم على خطأ والذي يتمتع بنظرته الثاقبه التي تصلح لتلك المرحلة التي يمرّ بها المجتمع الإسلامي في ذلك الوقت، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أنَّ حياته عليه السلام مليئة بالفضائل والمناقب والمكارم دوَّنَها التأريخ وشهد بها الأعداء قبل الأصدقاء، وسنتحدث عن بعض تلك المآثر والأعمال التربوية التي أراد بها تغيير المجتمع الإسلامي والالتزام بها إضافةً إلى أساليبه السليمة التي حَقَنَت دماء المسلمين.

أما الأساليب التربوية التي اتَّبعها الإمام الحسين عليه السلام بعد أخيه الإمام الحسن عليه السلام، فبالرغم من توقيع الصلح بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية بن أبي سفيان وتنازلات الإمام الحسن عليه السلام عن حقِّه في الخلافة حفظاً للمصلحة الإسلامية العليا وحقناً لدماء المسلمين والتعهّدات التي قطعها معاوية على نفسه للإمام الحسن عليه السلام بأنَّه هو الآمر والناهي وأنَّ يزيد بن معاوية مجرد مُنَفِّذ لهذه التعهدات، بالرغم من كلِّ ذلك فقد ضرب معاوية كل التعهدات عرض الحائط ونَقَضَها أمام الملأ بملئ فمه، وجَنَّد كلَّ ما يملك من دهاءٍ ومَكرٍ للقضاء على دين الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وقد صرَّح بتألّمه الشديد من قول: «**أشهد أنَّ لا إله إلّا الله**» عند سماعه الأذان ومحاولته إعادة الجاهلية محلّ الإسلام وتربية الناس على عاداتها وتقاليدها وإصراره على تنفيذ ولاية العهد لولده يزيد الفاسق وجعله خليفةً للمسلمين.

(١) علل الشرائع: ١/ ٢١١.

لهذا وغيره قام الإمام الحسين عليه السلام بثورته التربوية التصحيحية وأعلنها ثورة إصلاحية لا هوادةَ فيها على الفساد والظلم والطغيان، فقام بثورته وناصرَهُ أصحابه مضحِّين بأنفسهم لهذا الدِّين العظيم: «والجود بالنفس أسمى غاية الجود».

إنَّ هذه الثورة العظيمة هزّت مشاعر وعواطف المسلمين وأيقظتها من سُباتها ورقدتها وتأسَّوا بها واقتدوا وصارت نبراساً لهم وناراً حامية تحرق الطغاة والظالمين في كلِّ زمانٍ ومكانٍ.

هذا هو الأسلوب الثوري التربوي الذي تُوِّجَ به سيِّد الشهداء أبو عبد الله الحسين عليه السلام آخر حياته، وخير شاهدٍ نذكره لكم هو عندما خرج سائلٌ يتخطّى أزقة المدينة حتى أتى باب الحسين عليه السلام فقرَعَه وأنشأ يقول:

لم يَخِبْ اليومَ مَن رجاك ومَن
حرَّك من خلفِ بابك الحَلَقَة
فأنتَ ذو الجود أنتَ معدَنُه
أبوك قد كان قاتل الفَسَقَة

وكان الحسين عليه السلام واقفاً يصلي فخفَّف صلاته وخرج إلى الأعرابي فرأى عليه أثَرَ ضُرٍّ وفاقة فرجع ونادى بقنبرٍ فأجابه: لبيك يا ابن رسول الله، قال عليه السلام: **«ما تبَّقى معك من نفقتنا»؟**

قال: مئتا درهَمٍ أمرتني بتفريقها في أهل بيتك، قال عليه السلام: **«هاتِها فقد أتى**

مَن هو أحقُّ بها منهم»[1]، فأخذَها وخرج يدفعها إلى الأعرابي وأنشأ يقول:

خُذها فإنِّي إليك معتذرٌ
واعلم بأنّي عليك ذو شفقة
لو كان في سيرنا الغداة عصاً
كانت سهاما عليك مندفقة
لكنَّ ريبَ الزمان ذو نَكدٍ
والكفُّ منّا قليلة النفَقَة

فأخذها الأعرابي وانصرف وهو يقول:

مطهَّرون نقيّاتٌ جيوبهمُ
تجري الصلاة عليهم أينما ذُكِروا
وأنتم أنتم الأعلون عندكُمُ
علمُ الكتاب وما جاءت به السِّوَرُ
مَنْ لم يكن عَلَوياً حين تنسبُه
فما له في جميع الناس مفتخرُ

هذه هي أخلاق الإمامين الحسن والحسين التي جذبت المحبين والموالين إليهم من كل حدب وصوب وجعلتهم القدوة والأسوة وكتبت لهم الخلود عبر الأجيال.

(١) كلمات الإمام الحسين عليه السلام للشيخ الشريفي: ٢/ ١٠٩.

الحلقة السادسة

بالرغم من نتائج الآثار السلبية والآلام النفسية التي خلقتها فاجعة كربلاء المؤلمة على نفسيات أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله والتي هدَّت بقسوتها الجبل الأشمّ إلّا أنَّها لم تؤثّر على عزمهم ولم تثنِهم عن واجبهم الشرعي الذي فرضه الله تعالى عليهم، فبعد انتهاء المعركة وأخذهم أسارى إلى الكوفة والشام لقَّنوا عبيد الله بن زياد ويزيد بن معاوية وأتباع بني أُمية«عليهم لعنة الله» دروساً لا تُنسى، حيث تصدَّت لهم العقيلة زينب عليها السلام والإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، فكشفت عليها السلام نواياهم الخبيثة بمواقفها البطولية وخطبها البليغة، وبعد رجوعهم إلى المدينة المنورة لم يتخلَّ الإمام علي بن الحسين عليه السلام عن

دوره الشرعي في توعية المسلمين وتربيتهم على مبادئ الإسلام بل استمر بأداء دوره القيادي والتربوي فانتهج أُسلوب الدعاء وركَّز عليه بمجموعة كبيرةٍ من الأدعية وقضايا المسلمين السياسية والاجتماعية والفكرية وغيرها والمسماة بـ (زَبور آل محمدٍ) والتي جُمِعَت في الصحيفة السجادية تيمُّناً بلقبه المشهور (السجَّاد)، بالإضافة إلى أساليبه التربوية الأخرى التي زوَّد بها المسلمين كُلَّما سَنَحَت له الفرصة المؤاتية لذلك.

القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة

بعد أن أمر عبيد الله بن زياد بدخول السبايا إلى مجلسه وأَذِنَ للناس إذناً عاماً التفت إلى الإمام علي بن الحسين عليه السلام وقال له: ما اسمك؟ قال عليه السلام: «**أنا علي بن الحسين**»، فقال له: أَوَ لم يقتل الله علياً؟ فقال السجاد عليه السلام: «**كان لي أخٌ أكبر مني يُسمَّى عليّاً قَتَلَهُ الناس**»[1]، فردَّ عليه ابن زياد بأنَّ الله قتلَه، قال السجاد عليه السلام: ﴿**اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا**﴾[2]، ﴿**وَمَا كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ**﴾[3].

فكبُرَ على ابن زياد أن يردَّ عليه، فأمر أن يضرب عنقه، لكن عمَّته العقيلة زينب عليها السلام اعتنقته وقالت: «يا بن زياد حسبك من دمائنا، أسالك بالله إن

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: ٥/ ٢١٢، الإرشاد ٢٤٤.
(٢) الزمر: ٤٢.
(٣) آل عمران: ١٤٥.

قتلته إلا قتلتني معه»[1]، فقال السجاد عليه السلام: «**أما عَلِمتَ أنَّ القتلَ لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة**»؟[2] فنظر ابن زياد لهما وقال: دَعُوهُ لها، عَجَباً للرَّحم ودَّت لو أنَّها تُقتَل معه.

كما يُعَدُّ الدعاء من أهمِّ الأساليب التربوية والوسائل التبليغية التي تغيِّر المسلمين وتربطهم بالله تعالى وتركّز الروحية في نفوسهم، ولقد اتَّبع الإمام السجاد عليه السلام أُسلوب الدعاء فألَّف بذلك الصحيفة السجادية وقد ضمّت بين دفَّتيها أدعية مختلفة الأغراض بليغةً في أُسلوبها وبيانها، سامية في أفكارها ومفاهيمها تطرَّقت إلى تربية المسلمين وترسيخ العقيدة وأحكامها في نفوسهم.

الحقوق الإلهية الاجتماعية

ومن الحقوق الإلهية الاجتماعية ما روي عن ثابت بن دينار عن سيِّد العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام أنَّه قال: «**حقُّ الله الأكبر عليك أن تعبده ولا تشرك به شيئاً، فإذا فعلت ذلك بإخلاصٍ جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدُّنيا والآخرة، وحقُّ نفسك عليك أن تستعملها بطاعة الله عزَّ وجلَّ، وحقُّ اللسان إكرامه عن الخَنى[3] وتعويده الخير وترك الفضول التي لا فائدة لها والبِّر بالناس وحُسن القول فيهم، وحقُّ السمع تنزيهه عن سماع الغيبة وسماع ما لا يحلّ سماعه، وحقُّ البصر أن تغضَّه عما لا يحلّ لك وتَعتبر بالنظر به، وحقُّ يديك أن لا**

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: ٥/ ٢١٢، الكامل في التأريخ: ٣/ ٤٥، الإرشاد: ٢/ ١١٦.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد: ٥/ ٢١٢، اللهوف: ٧٠.

(٣) الخَنَى: الفُحشُ في الكلام.

تبسطها إلى ما لا يحلّ لك، وحقّ رجليك أن لا تمشي بهما إلى ما لا يحلّ لك فبهما تقف على الصراط، فانظر أن لا تزلّ بك فتردى في النار»[1].

روى ابن أعثم قائلاً: «أُتيَ بحرم رسول الله صلى الله عليه وآله حتى أُدخلوا مدينة دمشق من بابٍ يُقال له (باب توما) ثم أُتِيَ بهم حتى وقفوا على درج باب المسجد حيث يُقام السَّبي وإذا بشيخٍ قد أقبل حتى دنا منهم وقال: الحمدُ لله الذي قَتَلَكُم وأهلَكَكُم وأراحَ الرِّجال من سطوتِكُم وأَمكن أمير المؤمنين منكم! فقال له علي بن الحسين عليه السلام: **يا شيخ، هل قرأتَ القرآن؟**[2] فقال: نعم قد قرأته، قال عليه السلام: **فعرفت هذه الآية: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾**[3]؟، قال الشيخ: قد قرأت ذلك، فقال علي بن الحسين عليه السلام: **فنحن القربى يا شيخ،** وقال عليه السلام: **فهل قرأت في بني إسرائيل: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾**[4]؟ قال الشيخ: قد قرأت ذلك، فقال علي عليه السلام: **نحن القربى يا شيخ ولكن هل قرأت هذه الآية: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لله خمسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾**[5]؟ قال الشيخ: قد قرأت ذلك، قال علي عليه السلام: **فنحن ذو القربى يا شيخ، ولكن قرأت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾**[6]؟، قال الشيخ: قد قرأت ذلك، قال علي عليه السلام: **فنحن أهل البيت الذي خُصِّصنا بآية**

---

(١) بحار الأنوار: ٧١/ ٣.

(٢) اللهوف على قتلى الطفوف: ٧٦.

(٣) الشورى: ٢٣.

(٤) الإسراء: ٢٦.

(٥) الأنفال: ٤١.

(٦) الأحزاب: ٣٣.

التطهير[1].

قال: فبقي الشيخ ساعةً ساكتاً نادماً على ما تكلَّمه ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم إنِّي تائبٌ إليك مما تكلَّمته ومن بُغض هؤلاء القوم، اللهم إنِّي أبرأ إليك من عدوِّ محمد وآل محمد من الجِنَّة والإنس»[2]، كان هذا مثال أخلاق أهل البيت عليهم السلام التي استمدُّوها من الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

(١) اللهوف على قتلى الطفوف: ٧٦.

(٢) مقتل الخوارزمي: ٢/ ٦١.

الحلقة السابعة

فتح الإمام محمد الباقر عليه السلام عينيه وهو ابن أربع سنواتٍ على أقسى رزيَّةٍ في التأريخ مرَّت على أهل البيت عليهم السلام في كربلاء، حيث قُتِلَ جدُّه الحسين عليه السلام وأهل بيته وتجرَّع مرارتها وآهاتها وشاهد بأمِّ عينيه مصائب الأسر وظلم الأعداء وعاش بعد ذلك الآلام النفسية التي تُفطِّر الصخر والتي أخذت مأخذها من والده زين العابدين عليه السلام في أكله وشربه ودعائه وبكائه حتى رحل إلى ربِّه مظلوماً محتسباً أجره عند الله.

بعد هذا وذاك تصدَّى لمنصب الإمامة في جوٍّ مشحونٍ بالصراعات العقائدية التي افتعلها بنو أُمية(عليهم لعنة الله) كمسألتي الجبر والإرجاء؛

ذلك لأنَّ الجبر يبرِّر تصرفاتهم الجائرة، والإرجاء يضعهم في صفوف المسلمين بالرغم من عدم اعتراف المعتزلة لهم بالإيمان ولا الخوارج بالإسلام إضافةً إلى الصراعات السياسية والثورات الإسلامية التي قام بها المؤمنون المخلصون هنا وهناك وفي عدة أقطار إسلامية كثورة الشهيد زيد بن علي عليه السلام وولده يحيى وغيرهما من المؤمنين الثائرين.

في هذه الأجواء الملبَّدة بسحائب الظلم والطغيان انتفض الإمام الباقر عليه السلام وشَمَّر عن ساعديه للدفاع عن الإسلام والمسلمين، فالتفَّ حوله آلاف العلماء والطلاب المتعطشين لمذهب محمدٍ وآل محمدٍ عليهم السلام يؤازره ويعاضِده ولده الإمام الصادق عليه السلام، فوضع اللبنات الأساسية لجامعة أهل البيت عليهم السلام وبذلك انتشر مذهب أهل البيت عليهم السلام في شرق الأرض وغربها وتخرَّج الآلاف من العلماء والفقهاء وذاع صيتهم فيها أمثال زُرارة وأبي بصير وإبان بن ثعلب وغيرهم من الفقهاء والعلماء الذين أخذوا على عاتقهم نشر مذهب أهل البيت عليهم السلام وأحاديثهم في طول البلاد وعرضها.

كان ذلك موجزاً عن حياة الإمام الباقر عليه السلام وأساليبه التربوية والتعليمية التي اتبعها عند تسلِّمه الإمامة.

ولنا أن نستشهد على أساليب أهل البيت عليهم السلام بما رواه محمد بن المنكدر حيث قال: «خرجتُ إلى بعض نواحي المدينة في ساعةٍ حارةٍ فلقيَني محمد بن علي عليه السلام وكان رجلاً بديناً وهو متكئٌ على غلامين له، فقلت في نفسي شيخٌ

من شيوخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدُّنيا! والله لأعِظَهُ، فدنوتُ منه فسلَّمتُ عليه فسلَّم عَلَيَّ وقد تصبَّبَ عَرَقاً فقلتُ: أصلحك الله، شيخٌ من شيوخ قريشٍ في هذه الساعة في طلب الدُّنيا! لو جاءك الموت وأنتَ في هذه الحال؟

قال: فخلّى الغلامين من يده ثم تسانَدَ عليه السلام وقال: **لو جاءني والله الموت وأنا في هذه الحال جاءني وأنا في طاعةٍ من طاعات الله، أكفُّ بها نفسي عنك وعن الناس، وإنَّما كنتُ أخاف الموت لو جاءني وأنا على معصيةٍ من معاصي الله**[1]، فقلت: يرحمك الله أردتُ أن أعظك فوعَظتَني».

يقول السيد محسن الأمين قدس سره معنى قوله: «أردتُ أن أعِظَك فوَعَظتَني»: أنَّ ابن المنكدر كان من المتصوِّفة أمثال طاووس اليماني وإبراهيم بن أدهم وغيرهما وكان يصرف أوقاته في العبادة ويترك الكسب، فيكون كلّاً على الناس، فأراد أن يعظَ الإمام الباقر عليه السلام بأنَّه لا ينبغي له أن يخرج في مثل ذلك الوقت في طلب الدُّنيا، فأجابه عليه السلام بأنَّ خروجه في طلب المعاش ليكفَّ نفسه عن الناس من أفضل العبادات.

وكان في هذا الكلام موعظة لابن المنكدر بأنَّه مخطئ في ترك الكسب وإلقاء كَلِّهِ على الناس واشتغاله بالعبادة، فلهذا قال: «أردتُ أن أعظك فوَعَظتَني».

ولهذا ورد عن الصادقَين عليهما السلام الأمر بالكسب والنهي عن إلقاء الكَلِّ

(١) الإرشاد ٢٨٤.

على الناس، وإنَّ من يشتغل بالعبادة ويقوم غيره بنفقته، فالقائم بنفقته عبادته أفضل، ورُوِيَ عن الإمام الصادق عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «**ملعونٌ من ألقى كَلَّهُ على الناس**»[1].

ويقول نافع بن عبد الله الأزرق وكان من الخوارج الذين ينسبون الكفر لعلي عليه السلام: «لو علمت أنَّ أحداً بين قطري الأرض تبلغني إليه المطايا يخصمني أنَّ علياً قَتَلَ أهل النهروان وهو غير ظالم لهم لرحلتُ إليه، فقيل له: وهل يخلون من عالِمٍ في كلِّ عصر؟

فقال: ومن عالمهم اليوم؟ قيل له: محمد بن علي بن الحسين عليه السلام، فرحل إليه في جمعٍ من أصحابه حتى أتى المدينة، فاستأذن على أبي جعفر عليه السلام فقال عليه السلام: «**وما يصنع بي وهو يبرأ مني ومن آبائي**»؟، ثم قال لغلامه: «**قل له إذا كان الغد فأتنا**»[2]، فلما أصبح دخل على الإمام عليه السلام هو وأصحابه وكان الإمام عليه السلام قد جمع أبناء المهاجرين والأنصار، فقال عليه السلام لمن حضر: «**من كانت عنده منقبةٌ لعليٍّ أقسمت عليه إلّا ذكرها**»[3]، فتحدَّث جماعة منهم بما اشتهر من مناقبه فلم ينكر ابن الأزرق شيئاً مما ذكروه ولكنه نسب له الكفر بموافقته التحكيم في صفين، فذكَّره الإمام عليه السلام بحديث خيبر وقول النبي صلى الله عليه وآله: «**لأعطيَنَّ الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبُّه الله ورسوله**»، فاعترف ابن الأزرق بصحة الحديث، فقال عليه السلام:

---

(١) تحف العقول ٣٧، بحار الأنوار ٧٤/ ١٤٢.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٢/ ٢٩٥.

(٣) شرح نهج البلاغة: ٢/ ٢٩٦.

«أخبرني عن الله تعالى هل يعلم يوم أحبَّ علياً أنَّه يقتل أهل النهروان أو لا يعلم»؟ فسكت الخارجي ولم يعرف بماذا يجيب فإن قال بأنَّ الله لا يعلم فقد نسب الجهل إليه، وإن قال بأنَّه يعلم بقتلهم وإنَّ علياً ظالمٌ لهم وقد أحبَّه الله فقد نسب الظلم إليه، إذن، لا مفرَّ من الاعتراف باستحقاقهم القتل فخرج من مجلس الإمام عليه السلام مخصوماً مدحوراً.

الحلقة الثامنة

من الواضح أنَّ ما نَهَجَه الإمام جعفر الصادق عليه السلام كان امتداداً لخط آبائه عليهم السلام، فإنَّه تربّى على يَدَي جدِّه السجاد عليه السلام ونَهِلَ من علومه اثنتي عشرة سنة أو خمس عشرة سنة حسب اختلاف الروايات، ونَهِلَ من علوم أبيه الباقر عليه السلام تسع عشرة سنة واشترك معه في تأسيس جامعة أهل البيت عليهم السلام وكان يقصده العلماء والمحدِّثون ليأخذوا من علومه وأحاديثه في شتى فنون العلم والمعرفة.

وبعد انتقال أبيه إلى جوار ربِّه تصدّى عليه السلام لمنصب الإمامة مدة أربع وثلاثين سنة وتابع خلالها المسيرة وذاع صيته في أرجاء العالم الإسلامي بعد اغتنامه

الفرصة المناسبة لتخبُّط الدولة الأموية في مشاكلها المعقَّدة، فالتفَّ حوله الآلاف من طلاب العلم من كلِّ صوبٍ وناحية وتتلمذوا على يده وتخرَّجوا من جامعته العلمية وانتشروا في طول البلاد وعرضها وكلٌّ منهم يقول: «حدَّثني جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وبذلك انتشر مذهب أهل البيت عليهم السلام بعد ذلك التعتيم الذي دام عشرات السنين في محاربة كلِّ فكرٍ يمتُّ بِصِلةٍ إلى أهل البيت عليهم السلام، ووقف الإمام الصادق عليه السلام يناقش الغُلاة ويردُّ عليهم بكلِّ قوةٍ أمثال أبي البختري وأبي الخطاب والمغيرة بن سعيد وغيرهم، ويناظر أصحاب البِدَع والزنادقة والمنحرفين كابن أبي العوجاء وابن طالون وابن المقفَّع بأساليبه التربوية ووسائله العلمية المقنعة والتي قطعت عليهم وعلى غيرهم كلَّ طريقٍ للوصول إلى مبادئهم وغاياتهم الخبيثة.

ولنا أن نستشهد بما وقف به الإمام الصادق عليه السلام ضد الغلاة بكلّ ما يملك من قوةٍ، وقد حذَّر الإمام الصادق عليه السلام المسلمين منهم ولعنهم في أحاديثه وتبرَّأ منهم.

قال عيسى بن منصور: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: «**اللهم العن أبا خَطَّابٍ، فإنَّه خوَّفَني قائماً وقاعداً وعلى فراشي اللهم أذقه حَرَّ الحديد**»[1]، ولما فشل أبو خطاب في دعوته خرج بمن معه من المشعوذين والمضلِّلين على السلطة الحاكمة في الكوفة، فأرسل إليه عيسى بن موسى جماعةً فقتلوه مع

(١) اختيار معرفة الرجال، الشيخ الطوسي: ٣٥٨.

أصحابه ثم صَلَبَهم ليكونوا عبرةً لغيرهم، وبذلك استجاب الله تعالى دعوة الإمام الصادق عليه السلام على هذا المفتري الكذّاب وعلى زمرته المجرمين، وكذلك وقف عليه السلام أمام الزنادقة[1] وهم ينتمون إلى حركةٍ فكريةٍ تُدعى (الثنوية) وتعني الاثنين الأزليين أي النور والظلمة، وهما متساويان في القِدَم ومختلفان في الجوهر والفعل والحيز والمكان والأجناس والأبدان والأرواح وقد ناقشهم الإمام الصادق عليه السلام في مناظراته كمناقشة الزنديق الذي قَدِمَ من مِصر واسمه عبد الملك، حيث ناظره عليه السلام حتى أمن قلبه واطمأنت نفسه بعد الزيغ والارتياب وطَلب من الإمام تعليمه وإرشاده، وقال: «اجعلني من تلاميذك»، فقال الإمام عليه السلام لهشام بن الحكم: «**خذه إليك فعلِّمه**»، وجاء إليه زنديق آخر وسأله عن أشياء منها: أنَّه قال له كيف يُعبَد الله ولم يُرَ؟، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «**رأته القلوب بنور الإيمان وأثبتته العقول بيقظتها إثبات العيان وأبصرته الأبصار بما رأته من حسن التركيب وإحكام التأليف من عظمته دون رؤيته...**»[2].

وكان الجعد بن درهم من الزنادقة يُضِلُّ الناس ويغويهم وقد جعل في قارورةٍ تراباً وماءً فاستحال دوداً وهواماً فقال: «أنا خلقت هذا، لأنّي كنت سبب كونه»، فبلغ ذلك الإمام جعفر الصادق عليه السلام فقال: «**ليقل كم هو؟ وكم الذكور والإناث إن كان خَلَقَه؟ وليأمر الذي يسعى إلى هذا أن يرجع إلى غيره**»، قال ابن حجر: فَبَلَغَه ذلك فرجع.

---

(١) الزنادقة: جمع مفردة زنديق وهو الفارسي المُعَرَّب.

(٢) الاحتجاج: ٢/ ٧٧.

وقد جرت هذه المناقشة بين الديصاني وهشام بن الحكم، قال الديصاني لهشام بن الحكم: «ألك ربٌّ»؟ قال: «بلى»، قال: «أقادر»؟ قال: «بلى»، قال: «أيقدر أن يُدخِل الدُّنيا كلّها في بيضةٍ لا يُكبِّر البيضة ولا يُصَغِّر الدُّنيا»؟ فجاء هشام بن الحكم إلى الصادق عليه السلام وقال له: قال لي الديصاني كذا وكذا، فقال عليه السلام له: «**كم حواسك**»؟

قال: «خمس».

قال عليه السلام: «**أيّها أصغر**»؟

قال: «الناظر».

قال عليه السلام: «**كم قَدر الناظر**»؟

قال: «مثل العدسة أو أقل».

قال عليه السلام: «**فانظر أمامك وفوقك واخبرني بما ترى**»؟

فقال: أرى سماء وأرضاً ودوراً وقصوراً وجبالاً وأنهاراً.

فقال عليه السلام: «**إنَّ الذي قَدِرَ أن يُدخل الذي تراه العدسة أو أقلَّ منها قادراً أن يُدخل الدُّنيا كلّها البيضة لا يُصَغِّر الدُّنيا ولا يُكَبِّر البيضة**»[1]، وقد ناظر الإمام الصادق عليه السلام واعتنق الإسلام على أثر تلك المناظرة.

ويقول سليمان بن مهران سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن قول الله عزَّ

(١) الكافي: ١/ ٧٩.

وجلَّ ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ﴾؟[1].

فقال عليه السلام: «**يعني ملكه لا يملكها معه أحد والقبض من الله تعالى في موضع آخر: المنع والبسط ومنه الإعطاء والتوسع كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[2]، يعني يُعطي ويوسِّع ويمنع، والقبض منه عزَّ وجلَّ في وجهٍ آخرٍ: الأخذ في وجه القبول منه كما قال تعالى: ﴿وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾[3] أي يقبلها من أهلها ويثبت عليها**».

كانت تلك بعض الأساليب التي انتهجها الإمام عليه السلام مع رجال عصره، فالتربية ليست للصغار فقط بل للجميع.

(١) الزمر: ٦٧.

(٢) البقرة: ٢٤٥.

(٣) التوبة: ١٠٤.

الحلقة التاسعة

نتيجة للأحداث والحروب التي حصلت بين بني أُمَيَّة والثوّار الذين ثاروا بوجههم ضد الظلم والجور تحت شعار (الرِّضا من آل محمد) حصل بعض الانفراج والحرية وتنفَّس المسلمون الصعداء، مما جعل الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام يغتنمان الفرصة لتأسيس الحركة العلمية التي انضمَّ لها العلماء والطلاب في شتى العلوم والفنون المختلفة، والتي بلغت عصرها الذهبي في عصر الإمام الصادق عليه السلام حتى قيل أنَّهم بلغوا أربعة آلاف عالم وطالب وكلٌّ يقول: «حدَّثني الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ، وفي خِضمِّ هذه الأجواء العلمية نشأ الإمام الكاظم عليه السلام ونَهِلَ من علوم أبيه الصادق عليه السلام ما يقارب من

عشرين سنة، فتأهَّل للإمامة وأصبح محطّ أنظار العلماء وأمل الأمة الإسلامية وشهدوا بعلمه وفضله وعلى رأسهم أبو حنيفة النعمان بن ثابت إمام المذهب الحنفي، وبعد أن تسنَّم العباسيون زمام الحكم قلبوا ظهر المِجَن للعلويين وتنكَّروا لأهل البيت عليهم السلام وأخذوا يحاربونهم محاربةً شعواء لاهوادة فيها وحاولوا قتل الإمام الصادق عليه السلام ولكن الله سبحانه وتعالى نجّاه منهم، وقتلوا الآلاف من العلويين وأنصار أهل البيت عليهم السلام حتى قال شاعرهم:

يا ليتَ جــورَ بني مـروان دام لــنا
وليت عــدلَ بني العباس في النــارِ

وفي هذه الأجواء المملؤة بالظلم والطغيان تصدَّى الإمام الكاظم عليه السلام لمنصب الإمامة بعد موت أبيه عليه السلام وبالرغم مما لاقاه هو وأصحابه من جور بني العباس، فإنَّه لم يتخلَّ عن دوره وواجبه الشرعي سواء كان طليقاً أو محبوساً وقام بأدائه على أكمل وجهٍ وأفضل أسلوبٍ ووسيلةٍ حتى أنتقل إلى جوار ربِّه شهيداً ومظلوماً محتسباً أجره عند الله تعالى.

يـروى إنَّ الإمـام الكاظم عليه السلام مرَّ برجلٍ من أهل السواد دميمُ المنظر فسلَّم عليه ونزل عنده وحادثَهُ طويلاً ثم عرض عليه نفسه في القيام بحاجة إن عرضت، فقيل له: يا ابن رسول الله أتنزل إلى هذا ثم تسأل عن حوائجه وهو إليك أحوج، فقال عليه السلام: «**عبدٌ من عبيد الله وأخٌ في كتاب الله وجارٌ في بلاد الله يجمعنا وأيّاه خير الآباء آدم وأفضل الأديان الإسلام ولعلَّ الدهر يردُّ من**

حاجتنا إليه فيرانا بعد الزهو عليه متواضعين بين يديه»، ثم قال عليه السلام:

نواصــلُ من لا يســتحقُّ وصــالَــنا
مخــافة أن نبقى بغيرِ صــديقِ[1]

ومما يرويه التأريخ لنا بأنَّ الإمام الكاظم عليه السلام اجتاز إحدى محلات بغداد فسمع صوت الأغاني والملاهي من إحدى الدور وخرجت جارية من تلك الدار وبيدها قُمامة فرَمَت بها في الطريق، فالتفت الإمام عليه السلام إليها قائلاً: «**صاحب هذا الدار حرٌّ أم عبد**»؟ فأجابت: حرٌّ، فقال الإمام عليه السلام: «**لو كان عبدٌ لخافَ من مولاه**»، ودخلت الجارية الدار وكان صاحب الدار بِشر بن الحارث بن عبد الرحمن المروزي الأصل البغدادي المسكن على مائدة السكر فقال لها: ما أبطاكِ؟، فنقلت الجارية ما دار بينها وبين الإمام الكاظم عليه السلام، فأنتبه ضميره وتحرّك فخرج بِشر مُسرعاً حافي القدمين حتى لَحِقَ بالإمام عليه السلام فوقع على رجليه وتاب على يديه معتذراً باكياً نادماً ولذلك سُمِّيَ بِشر الحافي، وبعد ذلك أخذ في تهذيب نفسه وأتصل بالله تعالى عن معرفةٍ وإيمان حتى فاق أهل عصره في الورع والعبادة[2].

وفيما روي أيضاً أنَّ الرشيد قال أيضاً للإمام الكاظم عليه السلام: كيف قلتم إنّا ذرية النبي صلى الله عليه وآله والنبي صلى الله عليه وآله لم يعقِب وإنَّما العَقِب للذكر لا للأنثى وأنتم من ولدِ ابنته، يقول الإمام عليه السلام: «**فسألته بالقرابة وبحق القبر ومن فيه إلّا ما أعفيتني**

(١) تحف العقول ٤١٢-٤١٣.
(٢) الكنى والألقاب، الشيخ عباس القمي ٢/ ١٦٧.

عنه».

فقال: لا بُدَّ وأن تخبرني بحجَّتكم يا ولد عليٍّ وأنت يا موسى يعسوبهم وإمام زمانهم كما أُنهِيَ إليَّ، ولست أعفيك حتى تأتيني بحجةٍ من كتاب الله، فقرأ عليه الإمام الآية: ﴿**وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾[1]، وهنا سأله الإمام عليه السلام: **مَن أبو عيسى يا أمير المؤمنين؟**

فقال: ليس لعيسى أبٌ.

فقال الإمام عليه السلام: «**إنَّما ألحقناه بذراري الأنبياء عن طريق أُمِّه مريم ونحن أُلحِقنا بذريّة النبي صلى الله عليه وآله من قِبَل أُمِّنا فاطمة عليها السلام**»[2].

هذا هو الأُسلوب الرفيع الذي يتَّبعه أئمة أهل البيت عليهم السلام من أجل بناء مجتمع تربوي رصين.

(١) الأنعام: ٨٤.

(٢) كشف الغمة: ٣/ ٢١.

الحلقة العاشرة

عاش الإمام علي بن موسى الرِّضا عليه السلام مع أبيه الكاظم عليه السلام أربعاً وثلاثين سنة وتميزت هذه الفترة بالمسالمة مع خلفاء بني أُمية الذين ما زالوا يحاربون فيها الإمام الكاظم عليه السلام بالمراقبة الشديدة التي اضطرت الإمام عليه السلام أن يحتجب عن شيعته ومحبِّيه عن زمن المنصور وقاموا بإيداعه السجن مدة من الزمن في عهد الخليفة المهدي بعد استدعائه إلى بغداد واعتقاله في عهد الرشيد وإيداعه السجن أيضاً مدة أحد عشر عاماً حتى استشهاده بالسُّم على يد الرشيد وانتقاله إلى جوار ربِّه مظلوماً محتسباً أجره عند الله تعالى.

إنَّ هذه الأحداث المؤلمة قد أهَّلت الإمام الرِّضا عليه السلام لتولي منصب الإمامة

بعد أبيه عليه السلام وقيامه بواجبه على أكمل وجه وجعلت المأمون يستدعيه من المدينة المنورة إلى خراسان ليسند إليه ولاية العهد حفاظاً على حياته ومنصبه من الثوار نتيجة لولاء ومحبة المسلمين للإمام عليه السلام وتمَّ قبولها من قبل الإمام على كراهةٍ وحسب شروطٍ منها: أن لا يكون له أمر ونهي وأن لا يولِّي أحداً أو يعزله ولا يتصرف في شؤون الحكم، وبالرغم من ذلك كلِّه فقد انتهت حياة الإمام عليه السلام على يد المأمون شهيداً بالسُّم محتسباً أجره عند الله تعالى.

وخلال هذه المدة لم يتخلَّ الإمام الرِّضا عليه السلام عن دوره الذي نصَّبَه الله تعالى فيه، فقد ساهم في حلِّ مشاكل الأُمة الإسلامية ووجَّه المسلمين نحو مذهب أهل البيت عليهم السلام وناظر أهل الأديان وأصحاب المِلَل بأساليبه التربوية وتعاليمه المقنعة التي صارت مضرب الأمثال في المناظرة والاحتجاج في كلِّ زمان ومكان.

ويقول اليسع بن حمزة: كنت أنا في مجلس الرِّضا عليه السلام أُحَدِّثُه وقد اجتمع عليه خَلقٌ كثير يسألونه عن الحلال والحرام إذ دخل عليه رجلٌ طوّال آدم[1]، فقال له: السلام عليك يا بن رسول الله، رجلٌ من محبِّيك ومحبّي آبائك وأجدادك مَصدري من الحج وقد افتقدت نفقتي وما معي ما أبلغ به مرحلة، فإن رأيت أن تنهضني إلى بلدي ولله علي نعمة فإذا بلغتُ بلدي تصدَّقت بالذي تولَّيتني عنك فلستُ موضع صدقة.

(١) آدم: أي أسمر.

فقال: اجلس رَحِمَك الله، وأقبلَ على الناس يحدِّثَهم حتى تفرَّقوا وبقي هو وسليمان الجعفري وخيثمة وأنا، فقال: أتأذنون لي في الدخول؟، فقال له سليمان: قدَّمَ الله أمرَك، فقام ودخل الحجرة وبقي ساعةً ثم خرج وردَّ الباب وأخرج يده من أعلى الباب وقال: «**أين الخرساني**»؟.

فقال: ها أنا ذا.

فقال عليه السلام: «**خُذ هذه الـ (مئتي دينار) واستعن بها في مؤونتك ونفقتك وتبرَّك بها ولا تصدَّق بها عني فاخرج فلا أراك ولا تراني**».

ثم خرج، فقال سليمان: «جُعِلتُ فداك لقد أجزلتَ ورحمتَ فَلِمَ سترتَ وجهك»؟

فقال عليه السلام: «**مخافة أن أرى ذلّ السؤال في وجهه لقضاء حاجته، أما سمعتَ حديث رسول الله صلى الله عليه وآله: المستتر بالحسنة تعدل سبعين حجة والمذيع بالسيئة مخذول، والمستتر بها مغفور له**»[1].

يقول عبد الله بن الصلت نقلاً عن رجلٍ من أهل بلخ: «كنت مع الرِّضا عليه السلام في سفرةٍ إلى خراسان فدعا يوماً بمائدةٍ له، فجمع عليها مواليه من السودان وغيرهم، فقلت: جُعِلتُ فداك لو جُعِلَتْ لهؤلاء مائدة، فقال عليه السلام: **إنَّ الربَّ تبارك وتعالى واحدٌ والأب واحدٌ والأمُّ واحدةٌ والجزاء بالأعمال**[2]، **يقول**

(١) الكافي: ٤/ ٢٤.

(٢) بحار الأنوار: ٤٩/ ١٠١.

الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ الله أتقَاكُمْ﴾[1]، ويقولﷺ: «**ليس لعربي على أعجمي فضل إلا بالتقوى**»[2].

ولّما قدم علي بن موسى الرِّضاعليه السلام على المأمون أمر الفضل بن سهل بأن يجمع له أهل الأديان وأصحاب المقالات مثل الجاثليق ورأس الجالوت ورؤساء الصابئين والهربذ الأكبر وأصحاب زرادشت ونسطاس الرومي والمتكلمين ليسمع كلامهم وكلامه، فلما اكتمل الجمع ودخل الإمامعليه السلام جرت المحاججات بينه وبينهم فرداً فرداً فأفحمهم جميعاً وانتصر عليهم وأخرسهم وانقطعوا عن الكلام واعترفوا بعلمه وفضله واعترفوا بأحقيَّة دين محمد بن عبد اللهﷺ.

قال الإمامعليه السلام: «**يا نصراني والله إنّا لنؤمن بعيسى الذي آمن بمحمد**ﷺ **وما ننقم على عيسى شيئاً إلّا ضعفه وقلة صيامه وصلاته**»[3]، قال الجاثليق: «أفسدت والله علمك وضعَّفتَ أمرك وما كنت ظننتُ إلّا أنَّك أعلم أهل الإسلام».

قال الرِّضاعليه السلام: «**وكيف ذلك**»؟

قال الجاثليق: «من قولك إنَّ عيسى كان ضعيفاً قليل الصوم والصلاة وما

(١) الحجرات: ١٣.

(٢) بحار الأنوار: ٢٢/ ٢٨٢.

(٣) عيون أخبار الرضاعليه السلام: ١/ ١٥٨.

أفطر عيسى يوماً قط وما نام بليلٍ قط وما زال صائم الدهر قائم الليل».

قال الرِّضا عليه السلام: «**فلمن كان يصوم ويصلي**»؟، فخرس الجاثليق وانقطع؛ وذلك لأنَّ المسيحيين يعتقدون بأنَّ عيسى عليه السلام ربٌّ يُعبَد وهو ثالث ثلاثة: الابن والأب وروح القدس[1].

يقول تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿**إِنَّمَا المسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ**﴾[2].

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/ ١٥٩.

(٢) النساء: ١٧١.

الحلقة الحادية عشرة

حين تصدى الإمام الجواد عليه السلام لمنصب الإمامة كان أصغر إمامٍ من أئمة أهل البيت عليهم السلام والكبر والصغر في مفهوم الإمامة والنبوة قضية مفروغ منها، حيث أنَّها تتعلق بالإعجاز الإلهي كقضية السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام.

وقد تنبَّأ الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله بإمامته عليه السلام فقال: «**بأبي ابن خيرة الإماء النوبيّة الطيبة، يكون من ولده الطريد الشريد الموتور بأبيه وجدِّه صاحب الغَيبة، فيقال مات أو هلك بأيِّ وادٍ سلك**»[1]، إضافة إلى ما جاء عنه صلى الله عليه وآله في النص على أسماء الأئمة واحداً بعد الآخر وقد سمّاه باسمه واسم أبيه، وقد نصَّبَه أبوه

(١) كشف الغمة ٢/ ٣٥١، الإرشاد ٢/ ٢٩٧.

الرضا عليه السلام وصيَّره في مكانه، يقول عليه السلام: «**إنّا أهل بيتٍ يتوارث أصاغرنا أكابرنا القذَّة بالقذَّة**»[1].

لقد كان الإمام الجواد عليه السلام مؤهلاً لهذا المنصب الإلهي الخطير، فكان خير خلف لخير سلف فقد أدى دوره بأمانة وإخلاص وأجاب على كلِّ التساؤلات التي طرحت عليه وناقش علماء المسلمين وأهل الديانات المختلفة وأرباب الملل بشتى أصنافهم بالرغم من صِغَر سنِّه، فأفحمهم وتغلَّب عليهم وأقنعهم بأساليبه التربوية المنطلقة من غزارة ذلك البحر المتلاطم، بحر الإمامة الذي لا حدَّ له ولا نهاية.

جاء في البحار أنَّ سارقاً أقرَّ على نفسه بالسرقة وسأل الخليفة المعتصم تطهيره بإقامة الحدِّ عليه فجمع لذلك الفقهاء في مجلسه وقد أحضر محمد بن علي الجواد عليه السلام فسأل المعتصم الفقهاء: «في أيِّ موضعٍ يجب أن يكون القطع»؟

فأجاب ابن أبي داوود: «من الكرسوع وهو مفصل يقع بين الزند والكفِّ»، فقال المعتصم: «وما الحجة في ذلك»؟

قال: «لأنَّ اليد هي الأصابع والكفّ إلى الكرسوع لقوله تعالى في التيمم: ﴿**فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم**﴾[2]» واتفق معه آخرون.

وقال آخرون يجب أن يكون من المرفق، فالتفت المعتصم إلى أبي جعفر

(١) الكافي: ١/ ٣٢٠.

(٢) النساء: ٤٣.

وقال: ما تقول في هذا يا أبا جعفر؟

قال عليه السلام: «**قد تكلَّم القوم فيه يا أمير المؤمنين**».

قال: «دعني مما تكلَّموا به، أيُّ شيءٍ عندك»؟

قال عليه السلام: «**اعفني عن هذا يا أمير المؤمنين**».

قال: «أقسمتُ عليك بالله لما أخبرتَ بما عندك فيه»، فقال عليه السلام: «**أما إذا أقسمت عليَّ بالله أنّي أقول إنَّهم أخطأوا فيه السنة فإنَّ القطع يجب أن يكون من مفصل أصول الأصابع فيترك الكفّ**».

قال: «وما الحجة في ذلك»؟

قال عليه السلام: «**قول رسول الله صلى الله عليه وآله السجود على سبعة أعضاء، الوجه واليدين والركبتين والرجلين، فإذا قُطِعَت يده من الكرسوع أو من المرفق لم يبق له يد يسجد عليها وقال تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّ المَسَاجِدَ للهِ﴾**[1] **يعني بهذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها، وكما في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ الله أَحَداً﴾**[2] **وما كان لله لم يُقطع**»، فأعجب المعتصم ذلك وأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكف[3].

ومن أساليب الإمام علي الهادي عليه السلام في التربية عندما تولّى مهام الإمامة

(١) الجن: ١٨.

(٢) الجن: ١٨.

(٣) بحار الأنوار: ٥٠/ ٥-٧.

بعد أبيه الجواد عليه السلام وهو ابن تسع سنوات على أكثر الاحتمالات في المدينة المنورة وبقي فيها ما يقارب من عشرين سنة يمارس دوره الإلهي حيث اتسعت شهرته في العالم الإسلامي ورجع إليه القريب والبعيد بالرغم من الرقابة المشددة عليه والإقامة الجبرية من قبل خلفاء بني العباس الذين عاصرهم، وخاصةً المتوكل المعروف بعداوته لأهل البيت عليهم السلام ونتيجة للتقارير التي وصلت إلى المتوكل من زبانيته بأنَّه يجمع الأموال والسلاح ضد الدولة استدعاه المتوكل إلى سامراء وتظاهر بتعظيمه وإكرامه ولكنه كان يراقبه مراقبة شديدة ويدعوه للمثول بين يديه بين فترة وأخرى ولكن الله تعالى له بالمرصاد فينجو الإمام عليه السلام من بطشه، وخلال إقامته في سامراء قام بواجبه على أكمل وجه وأتمّ صورة، حيث رجع إليه في كثيرٍ من المسائل الشرعية وتبنّاها المتوكل نفسه بالرغم من عداوته وحقده عليه ووقف بوجه الغلاة موقفاً صارماً وكشف نواياهم الخبيثة وأبدى رأيه في كثير من الموضوعات الإسلامية التي تهمّ الإسلام والمسلمين.

لقد سُمَّ المتوكل فنذر إن رزقه الله العافية أن يتصدق بمالٍ كثير، فلما سَلِم وعوفي سأل الفقهاء عن حدِّ المال الكثير كم يكون؟ فاختلفوا فقال بعضهم: ألف دينار وقال بعضهم: مئة ألف، فاشتبه عليه هذا، فقال له حاجبه الحسن: إن أتيتك يا بن أمير المؤمنين من هذا أُخبرك بالحق والصواب فما لي عندك؟

فقال له المتوكل: إن أتيت بالحق، فلك عشرة آلاف درهم وإلّا أضربك مئة مِقرَعة.

فقال أبو الحسن عليه السلام: «**قل له يتصدَّق بثمانين درهماً**»، فرجع إلى المتوكل فأخبره.

فقال: سَلْهُ ما العلة في ذلك؟ فسأله، فقال عليه السلام: «**إنَّ الله عزَّ وجلَّ قال لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كثِيرَةٍ﴾**[1]، **فعدَّدنا مواطن رسول الله صلى الله عليه وآله فبلغت ثمانين موطناً**»، فرجع إليه فأخبره ففرح وأعطاه عشرة آلاف درهم.

(١) التوبة: ٢٥.

الحلقة الثانية عشرة

ولد الإمام الحسن بن علي الهادي عليه السلام في المدينة المنورة وانتقل إلى سامراء مع أبيه الهادي عليه السلام حين استدعاه المتوكل العباسي وله من العمر سنتان، وتصدّى لمنصب الإمامة بعد أبيه عليه السلام وله من العمر اثنتان وعشرون سنة وقام بواجبه الإلهي مدة ست سنوات وعاصر المتوكل والمعتز والمهتدي والمعتمد من خلفاء بني العباس وقد روقب وهُدِّدَ وسُجِنَ وعومِلَ معاملة سيئة لا مثيل لها من قِبَل الخلفاء الثلاثة الأواخر بالرغم من احتياجهم إليه في حلِّ مشاكلهم المعقّدة، فكان عليه السلام لا يألو جهداً في مدِّ يد العون لهم حفاظاً على دين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، ومع ذلك كلِّه فقد واصل عمله الملقى على عاتقه بهدوئه

المعروف وأساليبه التربوية السمحة المنطلقة من عظمة الإسلام وأخلاق أهل البيت عليهم السلام النابعة من خُلق جدِّهم رسول الله صلى الله عليه وآله التي شهد بها المخالف والموالف فكان عليه السلام موئل أنظار الفقراء والمحتاجين، حيث كان يغدق عليهم بعطاياه السخيّة وكان مرجعاً للمسلمين يرجعون إليه في حلِّ مشاكلهم الدينية ومسائلهم الشرعية، حيث كان يجيب عن أسئلتهم المتنوعة في شتى مجالات الحياة الاجتماعية، وهكذا كان عليه السلام كآبائه الأئمة المعصومين عليهم السلام مجنداً كل حياته وكل إمكانياته وطاقاته في سبيل الله حتى انتقل إلى جوار ربِّه مظلوماً مسموماً من قِبَل طغاة زمانه الحاقدين على الإسلام والمسلمين سنة ٢٦٠ هـ وله من العمر ثمان وعشرون سنة.

يعد إكرام الإنسان والإحسان إليه من أهم الأساليب التربوية الإسلامية التي تجلبه إلى طريق الهدى والاستقامة والإيمان إذا كان من ذوي النفوس الكريمة والفطرة النظيفة وخضع لظروف قاهرة أملت عليه نوعاً من الانحراف والشذوذ عن الخط الصحيح والنهج المستقيم الذي رسمه الله تعالى لهداية الإنسانية يقول الشاعر:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبَهُمُ
فطالما استعبد الإنسان إحسانُ

نُقِلَ أنَّ الحسين بن حسن بن علي بن جعفر بن محمد عليهم السلام كان يرتكب أعمالاً قبيحة في قُمٍّ وغيرها إبان حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام وكان أحمد بن

إسحاق الأشعري والي قُمٍّ رجلاً مزيَّناً بزينة الصلاح والسداد، وفي أحد الأيام زاره السيد، فأمر بإغلاق الباب ومنعه من الدخول ورفض مقابلته، واتفق أنَّ الوالي ذهب إلى بيت الله الحرام وعزم على زيارة الإمام العسكري عليه السلام وحين وصل أمر الإمام عليه السلام بإغلاق الباب في وجهه، وبعد التضرع والتوسل وكثرة البكاء تمكن الوالي من التشرف بمقابلة الإمام عليه السلام وسأل عن ذنبه الذي استحق بسببه إغلاق الباب في وجهه، فقال له الإمام عليه السلام: «**لماذا أَغلقتَ الباب في وجه السيد أبي الحسن**»؟، فأجاب: بأنَّه كان يشرب الخمر، فقال له الإمام عليه السلام: «**إنَّ معاقبته بيد غيرك وليس من شأنك أن تتصرف هكذا مع ذرية النبي** صلى الله عليه وآله، **لا تتعامل معهم هكذا فتكون من الخاسرين**»، بكى الوالي وأقسم أنَّه لم يطرده إلا ليتوب، فقال الإمام عليه السلام: «**صَدَقتَ ولكن لا بُدَّ من إكرامهم واحترامهم على كلِّ حالٍ وأن لا تحتقرهم ولا تستهين بهم لانتسابهم إلينا، فتكون من الخاسرين**»[1]، وعندما عاد الوالي إلى قُمٍّ جاء الناس لزيارته وكان السيد برفقتهم وحين رآه عانقه وقبَّلَه وأكرمه وأجلسه في صدر المجلس، تعجَّب السيد من تصرِّفه هذا وسأله عن السبب، فحكى له ما جرى وحين سمع السيد هذا الكلام ندم على أفعاله القبيحة وعاد إلى البيت وأتلف جميع آلات اللهو وغيرها من المعاصي وأصبح من العابدين المتقين الصالحين في زمانه يلازم المسجد ويعتكف فيه، ولهذا يقول صلى الله عليه وآله: «**أكرموا أولادي صالحهم لله وطالحهم لأجلي**»[2].

(١) مناقب أبي طالب: ٤/ ٢٠٤، الكافي: ٧/ ٤٦٣.

(٢) فضائل السادات للسيد محمد أشرف ميرداماد: ٢٧٧.

سأل أبو يعقوب يوسف بن محمد وأبو الحسن علي بن محمد بن سيار الإمام الحسن العسكري عليه السلام وقالا: «إنَّ قومنا عندنا يزعمون أنَّ هاروت وماروت مَلَكان اختارتهما الملائكة لمّا كثُرَ عصيان بني آدم وأنزلهما الله مع ثالثٍ لهما إلى الدُّنيا وإنَّهما افتتنا بالزهرة وأرادا فعل المعاصي وقتلا النفس المحرمة وإنَّ الله يعذبهما ببابل وإنَّ السحرة يتعلمون منهم السحر وإنَّ الله مسخ هذا الكوكب الذي هو الزهرة»، فقال الإمام عليه السلام: «**معاذ الله من ذلك إنَّ ملائكة الله معصومون محفوظون من الكفر والقبائح بألطاف الله**[1]، **فقال عزَّ وجلَّ: ﴿لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾**[2]، **وقال في الملائكة: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ۞ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾**[3] **كان الله قد جعل هؤلاء الملائكة خلفاءه في الأرض وكانوا كالأنبياء في الدُّنيا وكالأئمة أفيكون من الأنبياء والأئمة قتل النفس وغيرها من المعاصي؟**، ثم قال عليه السلام: **أولستَ تعلم إنَّ الله لم يخل الدُّنيا من نبيٍّ أو إمامٍ من البشر؟ أو ليس يقول جلَّ وعلا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾**[4]»[5]، فأخبر أنَّه لم يبعث الملائكة إلى الأرض ليكونوا أئمة وحكّاماً وإنما أرسلوا إلى أنبياء الله، قالا: «قلنا له: فعلى هذا لم يكن إبليس مَلَكا»!،

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/ ٢٤٣.

(٢) التحريم: ٦.

(٣) الانبياء: ٢٦- ٢٧.

(٤) النحل: ٤٣.

(٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/ ٢٤٣.

فقال: **لا، بل كان من الجنّ، أما تسمعان قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّه﴾**[1]، فأخبر أنَّه كان من الجن وهو سبحانه الذي قال: **﴿وَالجانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾**[2]، وهكذا كان أئمتنا عليهم السلام يكافحون الخرافات والأساطير التي ما أنزل الله بها من سلطان ويردّون على القصص الإسرائيلية التي تريد تشويه الدين الإسلامي الحنيف.

كما روي أنَّ أبا الحسن عليه السلام كان يوماً قد خرج من سرّ من رآى إلى قرية لمهم عرض له، فجاء رجل من الأعراب يطلبه فقيل له: قد ذهب إلى الموضع الفلاني فقصده فلمّا وصل إليه قال له: **ما حاجتك؟**

فقال: أنا رجل من أعراب الكوفة المتمسكين بولاية جدّك عليّ بن أبي طالب عليه السلام وقد ركبني دين فادح أثقلني حمله ولم أر من أقصده لقضائه سواك.

فقال له أبو الحسن عليه السلام: **طب نفساً وقرّ عيناً**، ثمّ أنزله فلمّا أصبح ذلك اليوم قال له أبو الحسن عليه السلام: **أريد منك حاجة، الله الله أن تخالفني فيها.**

فقال الأعرابي: لا أخالفك.

فكتب أبو الحسن عليه السلام ورقة بخطه معترفاً فيها أنّ عليه للأعرابي مالاً عيّنه فيها يرجح على دينه.

---

(١) الكهف: ٥٠.

(٢) الحجر: ٢٧.

وقال: **خذ هذا الخط فإذا وصلت إلى سرّ من رآى احضر إليّ وعندي جماعة، فطالبني به واغلظ القول عليَّ في ترك إيفائك إيّاه، الله الله في مخالفتي.**

فقال: أفعل، وأخذ الخطّ.

فلمّا وصل أبو الحسن عليه السلام إلى سرّ من رآى وحضر عنده جماعة كثيرون من أصحاب الخليفة وغيرهم، حضر ذلك الرّجل وأخرج الخطّ وطالبه، وقال كما أوصاه، فألان أبو الحسن عليه السلام له القول ورفّقه وجعل يعتذر إليه، ووعده بوفائه وطيبة نفسه، فنقل ذلك إلى الخليفة المتوكل، فأمر أن يحمل إلى أبي الحسن عليه السلام ثلاثون ألف درهم.

فلمّا حملت إليه تركها إلى أن جاء الرجل، فقال: **خذ هذا المال فاقض منه دينك، وانفق الباقي على عيالك وأهلك، واعذرنا.**

فقال له الأعرابي: يا بن رسول الله، والله إنّ أملي كان يقصر عن ثلث هذا، ولكنّ الله أعلم حيث يجعل رسالته، وأخذ المال وانصرف[1].

هذه هي الأخلاق التي كان يتصف بها أهل البيت عليهم السلام في تعاملهم مع الناس والتي بقيت أنموذجاً يحتذى به على مر العصور.

(١) كشف الغمة: ٢/ ٤٧٣.

المحتويات

الأساليب التربوية الإسلامية..... ٤

الترغيب والترهيب ١٠

أخلاق الرسول صلى الله عليه وآله ١٤

الأساليب التربوية عند الأئمة المعصومين عليهم السلام..... ١٧

الأساليب التربوية عند الحَسَنَين عليهما السلام ٢٢

الأساليب التربويَّة عند الإمام علي السجَّاد عليه السلام..... ٢٦

الأساليب التربوية عند الإمام محمد الباقر عليه السلام ٣١

الأساليب التربوية عند الإمام جعفر الصادق عليه السلام ٣٦

الأساليب التربوية عند الإمام موسى الكاظم عليه السلام ٤١

الأساليب التربوية عند الإمام علي الرِّضا عليه السلام ٤٥

الأساليب التربوية عند الإمام محمد الجواد عليه السلام ٥٠

الأساليب التربوية عند الإمام علي الهادي عليه السلام ٥٥